تكملة باب الشّفاعة

و المراد بالشفاعة في هذا الباب الشفاعة في الآخرة لأن -يا إخوة- الشفاعة في الأصل تنقسم لقسمين:

- **الشفاعة في الدنيا**: و هي تتنوع لنوعين:
  - **من المخلوق للمخلوق عند المخلوق:**

أن تشفع يا عبد الله لأخيك عند مسؤول او وزير أو ملك أو نحو ذلك و هذه الشفاعة إنما في أمور الدنيا، و هي مشروعة إذا كانت حسنة و يُثاب عليها الإنسان، فمن شفع لأخيه شفاعة حسنة في الدنيا فإنه يُؤجر سواء قُبلت شفاعته أو رُدّت ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ ، من يشفع شفاعة حسنة لأخيه في الدنيا يكن له نصيب من حسنها فينال حسنة.

و قال النبي ﷺ "اشفعوا تؤجروا" ، و شرط هذه الشفاعة التي هي في أمور الدنيا ألاّ تكون في حرام، فإن كانت في حرام انقلبت إلى شفاعة سيِّئة.

-فإذا شفع الإنسان في الظّلم كأن يُقدَّم المؤخَّر على المُتقدِّم، فإن هذا ظلم وهذه **شفاعة سيئة**.

كتاب التوحيد على الله على العبيد

-أمّا أن يشفع لأحد المُتساويين لِيُقدَّم فهذه شفاعة حسنة، او أن يُبديَ صفة في أحدهم تقتضي أن يُقدَّم على غيره ،كأن يُزكِّيَه و يُثني عليه و يكون لذلك قدر بحيث يستحق بهذا أن يُقدَّم على غيره هذه **شفاعة حسنة.**

-كذلك إذا كانت الشفاعة في مخالفة النظام الذي جعله ولي الأمر في هذه **شفاعة محرمة.**

-كذلك إذا كانت الشفاعة في حدٍّ من حدود الله فانّها **شفاعة سيئة و شفاعة محرمة،** و لذلك لما سرقت المخزومية و أهمّ قريشٌ أمرُها قالوا إنّه لا يجرؤ على رسول ﷺ إلاّ أسامة لأنّه حِبُّه و إبن حِبِّه، فلمّا كلمه أسامة رضي الله عنه تلوّن وجه رسول الله ﷺ و قال له: ﴿أتشفع في حدٍّ من حدود الله﴾،حتى قال أسامة لرسول الله ﷺ يا رسول الله استغفر لي.

فهذه الشفاعة إذا كانت حسنة و ضابطها ألا تكون في حرام فإنّها مشروعة محبوبة مستحبة و يُؤجر عليها الإنسان.

أمّا اذا كانت في حرام فإنها شفاعة سيئة و يُؤاخذ بها الإنسان و العياذ بالله.

- **شفاعة المخلوق للمخلوق عند الله في الدنيا والمعني بها الدعاء:**

أن يدعُوَ المخلوق للمخلوق فهذا جائز بشرط أن يكون ذلك مطلوبًا من الحيّ الحاضر.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

فيقول الأخ لأخيه يا أخي إن عندي مريضا فساعدني في الدعاء له أن يشفيه الله – عزّوجل-، فهذه شفاعة لأنّه يضمُّ دعاءه الى دعاءه و يضمُّ حاجته الى حاجته و هذه **جائزة**، كما قلنا اذا كانت من المخلوق الحيّ الحاضر.

أما إذا كانت من الأموات فهذه لا تجوز، لا يجوز أن تطلب الشفاعة من الأموات و لا من الغائبين و إنّما يطلب العبد من أخيه الحيّ الحاضر أن يشفع له عند الله، بمعنى أن يدعوَ له له ليحصِّل مقصوده، و لذلك لو قال لك قائل: اشفع لي عند الله فإنه يُستفصَل منه:

-فإن كان مُرادُه ادعوا لي الله- عزّوجل- أن يحصل لي مقصودي فهذا جائز و هو من باب طلب الدعاء من الحيّ الحاضر و **هو جائز**.

-و إن كان مراده ان تشفع له عند الله يوم القيامة فهذا لا يجوز، لأن الشفاعة يوم القيامة إنّما تُطلب من الله عزّوجل.

هذه الشفاعة في الدنيا.

- **الشفاعة في الآخرة** : و هي المُرادَ بهذا الباب.

و الشيخ رحمه الله إنما عقد هذا الباب لهذه الشفاعة ،فإن ربَّنا الجواد الكريم يتفضّل على عباده بشفاعة بعضهم لبعض يوم القيامة، و ذلك لإكرام الشّافع و نفع المشفوع له.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

الله -عزّ وجل- لا يحتاج إلى الشفعاء، لكنّه سبحانه من كرمه و جوده يتفضّل على من شاء من عباده يوم القيامة بالشفاعة و ذلك لإظهار إكرام الشافع لأنّه لا شك أن شفاعة الشّافع تدل على مقام له عند المشفوع عنده و لنفع المشفوع له.

و الشيخ رحمه الله ذكر أدلة فيها قواعد الشفاعة، و ملخَّص هذه القواعد ما يأتي:

1) **القاعدة الأولى :**

أنّ الشفاعة كلّها لله، فلا يملكها مخلوق مهما علا شرفه و مكانته ، بل الشفاعة كلّها لله عزّوجل، فلا تطلب إلا من الله عز وحل، فالشفاعة يوم القيامة إنما تُطلب من الله سبحانه و تعالى.

2) **القاعدة الثانية :**

أنّ أدلة الشفاعة المُطلقة مُقيّدة بالأدلة الأخرى، فالأدلة النافية للشفاعة مُقيّدة بالأدلة المُثبِتَة لها.

و الأدلة التي فيها أن الشفاعة تكون لمن قال لا إله إلا الله أو لمن قال لا إله إلا الله يوما او من ذكر الله يوما هذه مقيدة بالأدلة على أن الشفاعة إنّما هي:

_لأهل التوحيد.

_لمن مات لا يُشرك بالله.

_لمن مات غير كافر.

أمّا من مات مُشركا بالله فإنه خالد مخلد في النار لا تنفعه شفاعة الشافعين.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

و من مات كافرا ففعل مُكفِّرا ،و حكمنا عليه بالكفر بعينه و كان ذلك مُوافقا للظاهر و الباطن، فإنّه لا يدخل في أحاديث و أدلة الشفاعة لأن أدلة الشفاعة مُقيّد، من ذلك ما جاء أن النبي ﷺ قال في الشفاعة "إنّها نَائلة من أمتي من مات من أمّتي لا يشرك بالله شيئا."

و لذلك -أيّها الإخوة- لو أن شخصا كفَّر شخصا بسبب شرعي ظهر له فيه أنّ الموانع منتفية و الشروط مجتمعة ، فإنّه يعتقد بحسب ما يعلم أنّ هذا الرجل لا تنفعه شفاعة الشافعين ، فإن كان أمره كما اعتقد فيه فمات على الكفر، فلا شكّ أن الشفاعة لا تنفعه، و لذلك مثلا من كان يعتقد أنّ تارك الصلاة مطلقاً كافر كما أعتقد أنا بناء على الأدلة، فإنه إذا علم أن فلانا من الناس قد مات تاركا للصلاة، فإنّه يعتقد إنه لا تنفعه شفاعة الشافعين لكنّه لا يجزم بهذا لأنّه لا يُدرك يقينا ما وَافَى عليه، و لذلك أقول إن كان باطنه مُوافقا لما حُكِم عليه في الظاهر فانّه يقينا لا تنفعه شفاعة الشافعين.

إذن الأدلة المطلقة- أيّها الإخوة- في الشفاعة مُقيَّدة بالأدلة المُقيِّدة و ليس هذا كما أشَرتُ إليكم بالأمس من باب المُحكم و المُتشابه، بل أدلة الشفاعة كلها محكمة، لكنّ بعضها مطلق و بعضها مُقيَّد و يُردُّ هذا إلى هذا.

و لا شك أن أهل السنة و الجماعة مجمعون على أن من مات مشركا بالله لا تنفعه الشفاعة و أنه خالدٌ مخلّد في النار.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

3) **القاعدة الثالثة :**

التي دلت عليها النصوص التي ذكرها الشيخ أن الشفاعة في الآخرة شفاعتان:

- **القسم الأول**: **منفية**، هذه لها أربع صور عند أهل العلم :

1/ الصورة الأولى:

الشفاعة لأهل الشرك و الكفر، فإنّه لا يشفع أحد لأهل الشرك و الكفر يوم القيامة، و المشركون و الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

2/ الصورة الثانية:

هي الشفاعة بغير إذن الله، فإنّه لا يشفع شافع يوم القيامة إلا بإذن الله، و الشفاعة بغير إذن الله مُنتفيةٌ قطعا يوم القيامة.

3/ الصورة الثالثة:

الشفاعة لغير من يرضى الله عنه، فإنّ الشفاعة لغير من يرضى الله عنه مُنتفيةٌ تماما يوم القيامة، فلا تكون الشفاعة إلا لمن رضي الله عنه إلاّ ما استثني مما سنذكره و هو:

-شفاعة النبي ﷺ العُظمى للفصل بين القضاء فإنّها تنال الجميع.

-شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب.

فهاتان الشفاعتان كما سيأتي شرطهما:

- الإذن من الله.

حق التوحيد على العبيد

- أمّا رضا الله عن المشفوع له فهذا ستأتي الإشارة إليه.

4/ **الصورة الرابعة**:

شفاعة من يُعبَدُون من دون الله لعابديهم يوم القيامة، و هذه الشفاعة التي يظنُّها المشركون قديما و حديثا، يظنّون أن عابديهم الذين يتقربّون إليهم من دون الله عزّ وجل يشفعون لهم عند الله و يكونون شفعاء لهم عند الله و هذه الشفاعة منفيّة يقينا، فإن المعبودات من دون الله لا تشفع لعابديها من دون الله يوم القيامة ، فهذه الشفاعة المنفيّة ظبطُها بهذه الصور الأربعة.

➢ القسم الثاني: الشفاعة المثبتة ،

فهي الشفاعة التي يتفضّل الله بها لمن أذن له من الشفعاء و رضي عنه و لمن رضي عنهم من المشفوع لهم، فلا بد من ثلاثة أمور في الشفاعة المثبتة :

1 - إذن الله ، فلا يمكن لأحد مهما علا شرفه و عظُمت مكانته أن يشفع لأحد عند الله إلا بإذن الله.

2 - و الشرط الثاني رضا الله عن الشافع نفسه، أن يرضى الله عن الشافع.

3 - و الشرط الثالث رضا الله عن المشفوع له.

-طيّب- هنا سؤال ما معنى رضا الله عن المشفوع له هل يعني أنه يكون من الصالحين من كل وجه ؟

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

الجواب : لا، و إنّما المقصود أن يكون مُوحِّدا و لو كان فاعلا لكبائر، ما دام أنه موحِّد دخل في هذا الشرط، و لذلك شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، فالنبي ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته.

إذن -يا إخوة- لا تفهموا من هذا الشرط انه لا بد ان يرضى الله عن المشفوع له أنّه لا بد له أن يكون من الصالحين غير المذنبين، و إنّما المقصود هنا أن يكون هنا من الموحدين، فإذا وافى الله و هو من الموحدين فإنه قد يُشفعُ له بإذن الله سبحانه و تعالى.

هذه الشفاعة المُثبَتة.

4) **القاعدة الرابعة** :

من القواعد التي ضمّنها الشيخ من خلال ذكر الأدلة ، أنّ الشفاعة المُثبتة يوم القيامة أقسام أو تنقسم في الجملة إلى قسمين :

1 - **القسم الأول**: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ لا ينالها أحد سواه ﷺ .

و قد قال النبي ﷺ ﴿أعطيت خمسا لم تعط لأحد قبلي، و ذكر منها الشفاعة ﴾ متفق عليه.

هذه الشفاعة يا إخوة التي أعطيها النبي ﷺ و لم تعط لأحد من قبله من الأنبياء هي الشفاعة الخاصة به صلى الله عليه وسلم.

فهذا الحديث دليل على أن هناك شفاعة يختصُّ بها النبي ﷺ ،

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

و هذه الشفاعة التي يختص بها نبيُّنا ﷺ على أنواع :

- **النوع الأول:**

الشفاعة العظمى: و هي من المقام المحمود، و هي شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف،حيث يشفع النبي ﷺ حتى يقضى بينهم، و ذلك عندما يطلبون ذلك من الأنبياء، بدءًا من أبينا آدم عليه السلام، فيتأخّر الأنبياء و أولو العزم من الرسل عن ذلك، فإذا طلبوها من النبي ﷺ أن يشفع لهم عند الله ،قال النبي ﷺ "أنا لها ،أنا لها" فيستأذن النبي ﷺ على ربِّه و يقع ساجدا و يفتح الله عليه من المحامد ما لم يكن يعرفه قبل ذلك و يطول سجوده صلى الله عليه و سلم، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك و قل يُسمَع و سل تُعط و اشفع تُشفَّع فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلّهم، يحمدونه على هذا المقام، فهذه **الشفاعة العظمى** ، و هذه الشفاعة ينتفع بها كل أهل الموقف من جهة أنّه يُفصل بينهم في القضاء و يَقضي الله بين الخلائق.

- **النوع الثاني:**

شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، حيث يجتمع المؤمنون الذين هم أهل الجنة و يأتون آدم عليه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيدفعها عن نفسه عليه السلام الى أن يأتوا الى محمد ﷺ فيقوم فَيُؤذَنُ له و يأتي ﷺ باب الجنة فيستفتح فيقول الخازن، من أنت ؟

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

فيقول محمد، فيقول بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك، فهنا تفتح الجنة لأهلها، ويُدخِل النبي ﷺ الجنة ،من كان من أمته يدخل الجنة بغير حساب و لا عذاب تُؤمنُ يمين الجنة ثم يشترك الناس في أبواب الجنة.

- **النوع الثالث:**

شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب بأن يُخفّف عنه العذاب، لأنّ أبا طالب قد مات على الشرك و لم يقل لا إله إلا الله مع تقدم نصرته للنبي صلى الله عليه وسلم، قال العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ "ما أَغنيْت عن عمك ، فإنّه كان يحُوطُك و يغضب لك" ، ما أغنيت هذا على سبيل السؤال، يعني ما الذي أَغنيتَ عن عمك فيه ؟ هذا على سبيل السؤال، وليس على سبيل الاستنكار أو نحو ذلك، العباس يسأل النبي ﷺ "ما أغنيت عن عمك ؟" فإن عمك أبا طالب كان يدافع عنك و يحوطك و يغضب لك و ينصرك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿ هو في ضَحضَاحٍ من النار و لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار﴾ متفق عليه، رواه الشيخان في الصحيحين.

و قد ذُكر عند النبي ﷺ عمه أبو طالب، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيُجعل في ضَحضَاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه ﴾ متفق عليه.

فهو لا يخرج من النار لكن يجعل في ضَحضَاح يبلغ كعبيه و من شدتّه منه يغلي دماغه ،هذا الضَحضَاح من النار فكيف بدخولها و العياذ بالله، كيف أن تحيط النار

بمن دخلها و العياذ بالله، النار شديدة العذاب شديدة الحر، فالعاقل من هرب منها بطاعة الله و البعد عن معصية الله.

الشاهد أن أبا طالب هنا و قد مات على الشرك يشفع له النبي ﷺ بإذن الله ليُخفّف عنه العذاب لا ليخرج من النار.

فإن الكفار مخلّدون في النار و هذا كما قلت لكم مُستثنى من شرط رضى الله عن المشفوع له، لكنّ هذه الشفاعة لا تكون من رسول الله ﷺ إلا بإذن الله سبحانه و تعالى.

- **النوع الرابع** :

من الشفاعات الخاصّة بالنبي ﷺ يوم القيامة، فهي الشفاعة لأهل المدينة.

الشفاعة لأهل المدينة لمن عاش فيها موحدا و صبرٌ على لَأْوَائِها وشدّتها و لم يتسخّط و مات فيها، فإنّ النبي ﷺ يشفع لأهل المدينة و لا شكّ أن هذه الشفاعة شفاعة خاصة بالنبي ﷺ و خاصة لأهل المدينة، فهي غير الشفاعة العامة التي تكون لأهل الكبائر من الموحدين أو لأمّة محمد ﷺ و إنما هي شفاعة خاصة بأهل المدينة.

قال النبي ﷺ عن المدينة : ﴿لا يصبر أحد على لَأْوَائِها فيموت إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما ﴾ رواه مسلم في الصحيح.

و هذا يدل- يا إخوة- على أنّ من أشرك في المدينة و عاش مُشركا لا يزيدُه ذلك إلا شرًّا و لا يشفع له النبي ﷺ ، و أنّ المنافقين الذين عاشوا في المدينة لا تنفعه شفاعة النبي ﷺ أعني لا يشفع لهم و إنّما يشفع لمن كان مسلما و عاش في المدينة

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

موحِّدا و كان صابرا على شدّتها و على لَأْوَائِها لا يتسخّط و لا يُظهر السُخط و مات على ذلك.

-طيب- هنا قال النبي ﷺ إلاّ كنت له شفيعا أو شهيدا فما معنى هذا ؟

قال بعض أهل العلم :

-هكذا قالها النبي ﷺ فلّعلّه وُعِدَ هكذا، لعلّه وعد هكذا أن يكون شفيعا أو شهيدا.

-و قال بعض أهل العلم بل (أو) هنا: بمعنى الواو، أي أكون له شهيدا و شفيعا يوم القيامة.

-و قال بعض أهل العلم بل (أو) هنا: للتقسيم و معنى للتقسيم أي :

أكون شهيدا للطائعين أشهد لهم ، و شفيعا للعصاة منهم من أهل المدينة إذا كانوا موحدين و صبروا على لَأْوَائِها و ماتوا على التوحيد.

قالوا اذن أكون شهيدا لصنف ، و أكون شفيعا لصنف فأكون شهيدا للطائعين و أكون شفيعا للعاصين.

-و قال بعض أهل العلم: بل المعنى أكون شهيدا لمن كان معي من أهل المدينة و أكون شفيعا لمن جاء بعدي من أهل المدينة، فكان مسلما موحدا صابرا إلى أن مات على ذلك.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

فالشهادة لمن رآهم النبي صلى الله عليه وسلم و الشفاعة لمن جاءوا بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم ، و هذه الشفاعة بشارة لأهل المدينة و إكرام لأهل المدينة اذا هم اتّقوا الله في المدينة، فأنت يا عبد الله في المدينة بين أمرين إمّا:

-الشرف العظيم و المقام الكريم اذا اتّقيت الله فيها و صبرت حتى مُتّ،فأنت في المقام العظيم و موعود بهذه الشفاعة العظيمة.

-و إمّا و العياذ بالله أن تُسقِط نفسك في الشر العظيم لما تقدّم أن صلى الله عليه وسلم قال: ﴿المدينة حرمٌ مابين عَيرٍ إلى ثَور، من أحدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثفعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا.﴾.

اذن –ياأخوة– الشفاعة الخاصّة بالنبي ﷺ أربعة أنواع :

- الشفاعة العظمى لأهل الموقف بأن يُقضى بينهم، وهذه من المقام المحمود.
- الشفاعة لأهل الجنّة بدخول الجنّة، وهذه أيضًا من المقام المحمود،

فالمقام المحمود لنبيِّنا محمد ﷺ في هاتين الشفاعتين كما دلّت عليه الأدلّة الصحيحة.

- شفاعة النبيّ ﷺ لعمّه أبي طالب ليُخفّف عنه العذاب.
- شفاعة النبيّ ﷺ لأهل المدينة، وهذه كما قلنا شفاعة اكرام لأهل المدينة زائدة عن الشفاعة العامة للأمّة.

هذا القسم الأول الشفاعة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

2 - **القسم الثاني**: شفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم و لغيره، يُكرِم الله بها من شاء من عباده و هي أنواع:

- **النوع الأول**:

الشفاعة لأقوام مسلمين استحقوا دخول النار، فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم لهم ليخرجوا من النار و يشفع لهم، و يشفع لهم الأنبياء، و يشفع المؤمنون ، و تشفع الملائكة لأولئك القوم لاخراجهم من النار، فيُخرج الله أقواما من النار بالشفاعة، هناك أناس من الموحدين يرتكبون من الذنوب ما يستحقون به دخول النار فيدخلون النار، فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم لهم، فيُخرج بشفاعته أقوامًا كُثُر منهم من النار، و يشفع الأنبياء، فيُخرج الله بشفاعة الأنبياء أقوام كُثُر من هؤلاء، و يشفع المؤمنون ، فيخرج الله عزّوجل بشفاعتهم أقوام كُثُر من هؤلاء ، و تشفع الملائكة فيخرج الله بشفاعتهم أقوام كُثُر من هؤلاء .

و هذه الشفاعة- يا إخوة -و إن كانت للنبي ﷺ و لغيره إلاّ أن النبي صلى الله عليه وسلم فيها هو المُقدّم.

- **النوع الثاني** :

الشفاعة لأقوام من الموحِّدين يستحقُّون دخول النار ألاّ يدخلوها.

الفرق بين الأولى و الثانية يا إخوة:

-أن الأولى لأقوام يدخلون النار، فيُشفَع لهم ليُخرجوا منها.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

-أما هنا فيُشفع لهم ألاّ يدخلوا النار أصلا ، و من ذلك ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث قال: ﴿ ليدخُلنّ الجنة بشفاعتي رجلٍ ليس بنبيّ مثل الحيّين ربيعة و مُضَر﴾ رواه أحمد و صححه الألباني.

مثل الحيين يعني مثل القبيلتين الكبيرتين ربيعة و مضر.

و في الحديث أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يدخل الجنة بشفاعتي رجل من أمتي اكثر من بني تميم، قيل يا رسول الله سواك، قال : سِوايَ ﴾ و إنما هو رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. رواه الترمذي و إبن ماجة و صححه الألباني.

و بنو تميم قبيلة كبيرة جدا كثيرة العدد.

و ظاهر هذا الحديث أنّهم يدخلون الجنة ابتداء، و من ذلك أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يُشركون بالله شيئا،إلاّ شفّعهم الله فيه﴾ رواه مسلم في الصحيح.

ما :نافية.

من :لتأكيد العموم.

مسلم :نكرة.

يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يُشركون بالله شيئا : هذه فضيلة التوحيد للاثنين.

إلا شفعهم فيه: و ظاهر هذا ، أنّ شفاعتهم في مغفرة ذنوبه و دخوله الجنة، فهذا النوع الثاني.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

- **النوع الثالث:**

الشفاعة في رفعة الدرجات في الجنة ، و لهذا شُرِع أن يسأل المؤمن لأخيه أن يرفع درجته في المهديين، أن يرفع درجته في الجنة فهذا من الشفاعة العامّة التي تكون للنبي ﷺ ولغيره.

ومن ذلك شفاعة من ترتفع درجته في الجنة لمن دنت درجته في الجنة من أهله، فإذا دخل الوالد والأولاد الجنة فارتفع الوالد عن الأولاد، فإنّ الله يُلحق الأولاد بأبيهم و يكون شفع لهم بعمله الذي ارتفع به في الجنة ان يرفعهم الله عز وجل إلى درجته.

فهذه أقسام الشفاعة المثبتة يوم القيامة بأنواعها.

وهذه هي القواعد التي أخذناها من النصوص التي ذكرها الشيخ رحمه الله عز وجل في هذا الباب العظيم.

المتن:

۞ وَقَولِ الله تَعَالَى[٢] : ﴿وَأَنذِر بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحشَرُوا إِلَى رَبِّهِم لَيسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ۞﴾[٣].

الشرح:

الله عزّ وجل يأمر نبيه ﷺ بقوله :

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي أنذر بالقرآن، خَوِّف بالقرآن،

﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ : أي أنّهم موحِّدون مؤمنون بما يكون يوم القيامة، فهم مصدِّقون بأنّ ما أخبر الله عزّ وجل به ممّا يكون يوم القيامة أنّه واقع فهم مؤمنون به.

﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ : ليس لهم من دون الله وليٌّ أي ليس لهم من عذاب الله ان عذّبهم وليٌّ ينصرُهم، و لا شفيع يشفع لهم عند الله فيُخلِّصهم من عذاب الله.

-طيب -يا إخوة هذه الآية في المشركين أم في الموحدين ؟

في الموحدين، لأن الله عز وجل قال :﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ فهؤلاء هم الموحدون.

-طيب- قال الله :﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ﴾ أي ليس لهؤلاء الموحدين ولي و لا شفيع ، هل هذا يعني أن الشفاعة منفية؟الجواب لا، لأن الله قال :﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ ، فالشفاعة المنفية هنا هي الشفاعة من دون الله عزّ وجل، بدون إذن الله بدون رضى الله، فإنّه لا شفاعة لأحد من دون الله سبحانه و تعالى.

إذن هذه الشفاعة المنفية لأهل التوحيد و غيرهم ، و هي الشفاعة من دون الله، و معنى من دون الله أي من دون إذنه و لا رضاه.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

المتن:

۞ وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا [لَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ ثُمَّ إِلَيهِ تُرجَعُونَ۞](٤)﴾(٥).

الشرح:

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾: و هذا يدل على الحصر، قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لله الشفاعة جميعا،

إذن الشفاعة كلّها لله ، و هذه الآية تدلُّنا على أمرين:

1 - الأمر الأول :

أن الشفاعة أنواع و ليست نوعًا واحدا، لأنّ الله قال جميعا، فجميع الشفاعات إذن هي أنواع.

2 - الأمر الثاني :

أن الشفاعة كلّها بأنواعها كلّها لله، و هذا لقطع طمع المشركين، فإنّ المشركون يطمعون أن تشفع لهم معبوداتهم من دون الله عزّ وجل فكأنّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم "هيهات هيهات"، فإنّ الشفاعة لله جميعا، فلا شفاعة للمشركين، و هذا أيضا يفيدنا -أيها الإخوة- أن الشفاعة أنما تُطلَب من مالكها:

-فلا تطلب من النبي لا في حياته و لا بعد موته صلى الله عليه وسلم .

-و لا تطلب من الملائكة.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

-و لا تطلب من الأولياء.

و إنّما تطلب من الله سبحانه و تعالى ، لأنّه سبحانه هو مالك هذه الشفاعة بجميع أنواعها.

فهذه الآية **أثبتت** شفاعة، التي قبلها **نفت** شفاعة و هي الشفاعة من دون الله كما بيّنا المعنى، هذه الآية أثبتت شفاعة لكن ما فُصِّلت الشفاعات ، لكن بُيِّنَ أنّها لله عزّوجل جميعا، فلا تُطلب إلاّ من الله.

المتن:

۞ وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذنِهِ﴾ (٨) .

الشرح:

هذه الآية فصَّلت الشفاعة المثبتة التي هي لله عز وجل ، و ما معنى كونها لله عزّ وجل ؟

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ : فلا شافع عند الله الاّ بإذن الله.

لا يشفع النبي ﷺ مع عُلوِّ مقامه و هو صاحب المقام المحمود عند الله إلا بإذن الله.

و لذلك- يا إخوة - نبينا صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يشفع عند الله تذلَّل عند الله، فأستأذن أوّلا و خرّ ساجدا ثانيا و حمد الله بمحامد كثيرة ما كان يعلمها من قبل يفتح الله عليه بها و يبقى خارًّا ساجدا لله عزّ وجل وقتا طويلا و لا يرفع رأسه

حتى يأذن له الله، ارفع رأسك، فالنبي صلى الله عليه وسلم مع عُلوِّ مقامه لا يشفع عند الله إلا بإذن الله عزّ وجل.

و هذا يُفيدك يا عبد الله أن الشفاعة إنّما تطلب من الله، إذن هذه شفاعة مُثبتة و هي الشفاعة بإذن الله عزّ وجل.

لاحظوا الترتيب -يا إخوة- كيف رتّب الشيخ بفقهه العظيم رحمه الله رحمة واسعة و جزاه عن الإسلام و المسلمين خير الجزاء كيف رتب الآيات:

- **أوّلا الشفاعة المنفية و هي من دون الله.**
- **ثانيا إثبات الشفاعة و أنّها لله.**
- **ثالثا بيان أنّ الشفاعة المُثبتة لا بُدّ فيها من إذن الله سبحانه و تعالى.**

المتن:

۞ وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَم مِن مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغنِي شَفَاعَتُهُم شَيئًا إِلَّا مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرضَى۞﴾[1].

الشرح:

نعم، و كم من ملك مع عِظم الملائكة كما تقدم في السماوات مع كثرتهم لا تُغني شفاعتهم شيئا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفع، و يرضى أي عن الطرفين الشافع و المشفوع له، فذكر الشيخ هذه الآية التي بها الشرط الثاني و الثالث و هو **رضى الله عن الشافع و رضى الله عن المشفوع له.**

المتن:

۞ وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادعُوا الَّذِينَ زَعَمتُم مِن دُونِ اللهِ لا يَملِكُونَ مِثقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرضِ وَمَا لَهُم فِيهِمَا مِن شِركٍ وَمَا لَهُ مِنهُم مِن ظَهِيرٍ ۞ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾[٢].

الشرح:

نعم، قول الله عزّ وجل: قل يا محمد للمشركين أدعوا الذين زعمتم من دون الله ، فانّهم لا يستطيعون إجابتكم و لا يستحقُّون أن يُدعَوا من دون الله عزّ وجل لماذا؟ لأمور:

1 - ﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ : سبحان الله، كلّهم بل كل الخلق ، لا يملكون مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض مِلكًا تامًّا مُطلقا، يأتي إنسان يقول الإنسان يا اخي الانسان ما يملك، نقول الإنسان يملك مِلكًا ناقصا، من الذي يأمن على ما يملكه أن يبقى ولا يذهب ؟

كل واحد منا لا يأمن على ما يملكُه من مال و أمور أن تبقى و لا تذهب، ربُّما تُسرق الآن، ربُّما تُسرق الليلة ، ربُّما يترل بها بلاء.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

ثم انّ الإنسان لا يتصرّف فيما يملك هذا المِلك الناقص إلا بإذن الله، بإذن الله القدري، فقد يريد الإنسان أن يشتري بماله شيئًا لكنّ الله لم يرد ذلك قدرا فلا يستطيع،

أيضا الإنسان لا يستطيع أن يتصرّف فيما يملك هذا الملك الناقص إلاّ بإذن الله الشرعي، فلو أراد أن يشتري حرامًا لا يستطيع ذلك شرعا لأنه ممنوع من ذلك ، اذن هذا لا يُشكل أنّ الإنسان يملك لأنّ مِلك الإنسان ملك ناقص ليس تاما و لا مطلقا،

﴿لا يملكون مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض﴾: إستقلالاً ، لا يستقلُّ أحدهم بملك شيء.

2 - ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ : أي ما لهؤلاء المعبودات في السماوات و الأرض من شرك على الله، فهم لا يملكون مثقال ذرّة إستقلالاً و لا يملكون مثقال ذرّة مشاركة.

3 - ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ : ما لله من هؤلاء المعبودين من ظهير و مُعين على خلقه، و الذي يستحقُّ أن يُتقرَّب إليه امّا :

- مالك ملكا مطلقا تاما.
- و إما شريكٌ للمالك.
- و إما معين للمالك.

و هذا انتفي عن الجميع.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

4 - ثم جاء: ﴿ وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ : هؤلاء يرجُون النفع من عُبَّادهم من معبوداتهم، يرجون أصحاب القبور من الذين يتقربون إلى أصحاب القبور يرجون من أصحاب القبور النفع ، و النفع لا يكون إلاّ :

- إذا كان مالكا ملك تاما مطلقا و هذا منتف .
- أو كان شريكا للمالك و هذا منتفي .
- أو كان معينا و ظهيرا للمالك و هذا منتفي .
- أو بالشفاعة و هذا في حقّ المشركين منتفي، لأنه لا يشفع عند الله عزّوجل إلا من أذن له.

فدلّ ذلك على المقصود و هذه الآية يقول العلماء إنّها تقطع جذور الشرك.

و لو أن هؤلاء الذين ينذُرون لأصحاب القبور و يذبحون لهم و يستشفعون بهم قرأوا القرآن تدبُّرًا لا تبركا كما يقولون، لإنْحَسَم الشرك من نفوسهم و لكنّهم قوم يغفلون، و واجبنا نحن أن نذكرهم و الهداية بيد الله سبحانه و تعالى.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

المتن:

۞ قَالَ أَبُو العَبَّاسِ [٣]: نَفَى الله عَمَا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ المُشرِكُونَ، فَنَفَى أَن يَكُونَ [لِغَيرِهِ][٤] مِلكٌ، أَو قِسطٌ مِنهُ، أَو يَكُونَ عَونًا لله، وَلم يَبقَ إِلاَّ الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لاَ تَنفَعُ إِلاَّ لمن أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى﴾ [٥] ۞.

الشرك:

نعم ، شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله :

نفى الله أي في هاتين الآيتين المُتقدمتين عما سواه كلّ ما يتعلق به المشركون، نفى في الحقيقة كل عُلقَة تماما، فنفى أن يكون لغيره مُلكٌ أو مِلكٌ على وجه الاستقلال و لو يسيرا، أو قسطٌ منه بالمشاركة ، أو يكون عونا لله و لم يبق إلاّ الشفاعة هذا الأمر الرابع، فبيّن أنّها لا تنفع إلا لمن أذن له الربّ، إذن لم تنفع المشركين.

فالشرك لا ينفع صاحبه و لا يُحقِّق له مقصوده بل يعود عليه بالخلود في النار و العياذ بالله.

قال كما قال تعالى :﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ : فهذه الشفاعة التي يظنُّها المشركون، أي أن المعبودات تشفع لعابديها يوم القيامة هي مُنتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

المتن:

وَأَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّهُ يَأتي فَيسجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحمَدُهُ، لاَ يَبدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً، ثُمَّ يُقَالَ لَهُ: «ارفَع رَأسَكَ، وَقُل يُسمَع، وَسَل تُعطَ، وَاشفَع تُشَفَّع»[٧].

الشرح:

نعم ، و هذا في الصحيحين.

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : أنّه لا يشفع إستقلالاً بل يتذلّل لله و يخضع لله عزّ وجل حتى يأذن له بالشفاعة، فأخبر أنه يأتي فيسجُد لربِّه و يحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أوّلا لأنّه لا بدّ من إذن الله سبحانه و تعالى، ثم يقال له" : **ارفع رأسك ،و قل يسمع ،و سل تعط،و اشفع تشفع**" و هذا- يا إخوة- في الشفاعتين الخاصتين بالنبي صلى الله عليه و سلم، في شفاعته لأهل الموقف بالقضاء، و شفاعته لأهل الجنة بالدخول.

هذا الأمر يقع في الشفاعتين و هو كما قلنا من المقام المحمود.

كتاب التوحيد و الله على العبيد

المتن:

۞ وَقَالَ أَبُو هُرَيرَةَ[٨]: مَن أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ، [يَا رَسُولَ الله!؟][٩] قَالَ: «مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، خَالِصًا مِن قَلبِهِ»[١]. فَتِلكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهلِ الإِخلَاصِ[٢]، وَلاَ تَكُونُ لِمَن أَشرَكَ بِالله.

الشرح:

نعم، أبو هريرة رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم من أسعد الناس بشفاعتك ؟ من الذي سيسعد بشفاعتك، فقال صلى الله عليه و سلم : **" من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه "** و في رواية : **"إنها نائلة من مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئا"** ، فلا ينفع قول لا إله إلا الله باللسان من غير القلب كما يفعل المنافقون و لا ينفع قولها من غير توحيد كما يفعل بعض المشركين الذين ينتسبون الى الإسلام يقول أحدهم لا إله إلا الله و يذبح للقبر حتى بعدما يعلم أن الذبح عبادة و أن هذا شرك يذبح للقبر هذا ما يدخل في الشفاعة.

و إنّما الذي يدخل في الشفاعة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ، و من قالها خالصا من قلبه فإنّه لا بد أن يكون مؤمنا،

يعني لو أن شخصا يقول أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يُؤمن بالله عزّ وجل و يُؤمن بالملائكة و يُؤمن بالكتب و يُؤمن بالقدر و يُؤمن باليوم الآخر ،

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

لكنّه يشكُّ في الرسل ما يؤمن بالرسل ، هذا ما يدخل في الشفاعة لأنّه ليس مؤمنا بل هو من الكفار.

إذن لا بد أن يقول لا إله إلا الله خالصًا من قلبه و أن يُؤمن بأركان الإيمان الستة، اذن لا بد أن يكون موحِّدا غير مُشرك و لا كافر، فالشفاعة لا تنال أحدا من الكفار و لا المشركين.

المتن:

﴿فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله﴾

الشرح:

لأهل الإخلاص يعني لأهل التوحيد.

المتن:

﴿و لا تكون لمن أشرك بالله﴾.

الشرح:

نعم.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

المتن:

۞ وَحَقِيقَتُهَا[٣]: أَنَّ الله [سُبحَانَهُ وَتَعَالَى][٤] هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهلِ الإِخلاَصِ، فَيَغفِرُ لَهُم بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَن أَذِنَ لَهُ أَن يَشفَعَ لِيُكرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحمُودَ.

الشرح:

و حقيقته :حقيقة الشفاعة.

نعم هذه حقيقة الشفاعة- يا إخوة- الشفاعة تفضُّلا من الله ليس حقًّا للشافع و لا للمشفوع له، ليست حقا و إنّما هي تفضُّل من ربنا سبحانه و تعالى، ثم إنه إذا شفع الشفعاء، فإنّ الذي يُخرج الناس من النار هو الله بفضله سبحانه و تعالى، يأمر من شاء أن يخرج من شاء ، فيأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُخرج من النار أقواما و يأمر الصالحين الذين إذا آمنوا على أنفسهم قالوا يا ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا و يصومون معنا يأمرهم أن يدخلوا النار و يحرم أجسادهم على النار ليخرجوا من يعرفون منهم ،فخروجهم بفضل الله و ليس بفعل الشفعاء، إذن الشفاعة في أولها فضل من الله ، في ثمرتها فضل من الله سبحانه و تعالى فلا يُعلَّق القلب فيها إلا بالله سبحانه و تعالى.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد

المتن:

۞ فَالشَّفَاعَةُ[٥] الَّتِي نَفَاهَا القُرآنُ: مَا كَانَ فِيهَا شِركٌ[٦]، وَبِهَذَا أَثبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذنِهِ فِي مَوَاضِعَ وَقَد بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهلِ التَّوحِيدِ وَالإِخلَاصِ.اهـ كَلَامُهُ [رحمه الله][٧][٨].

الشرح:

نعم ، هذا واضح و بيِّن في المراد بالشفاعة المثبتة و الشفاعة المنفية، و هذا في الحقيقة يُجلِّي أمر الشفاعة تَجْلِيَة تامة ، و لا تبقى إلا شبهات ساقطة حقيقتها أن بعض الناس و لو انتسب إلى العلم يَقيس الله على المخلوقات و هذا قياس فاسد ساقط.

كتاب التوحيد حق الله على العبيد